obeikandi.com

هذا هو الإسلام

obeikandl.com

هذا هو الإسلام

يتعرض الإسلام اليوم لهجوم عنيف ، لم يشهد مثله فى أى عصر من العصور ، ذلك أن وسائل الإعلام الحديثة بما لها من انتشار واسع ، مع تأثير قوى على جبهة عريضة من الجماهير - وخاصة الذين ليس لديهم وقت لتلقى المعلومات من أى مصدر آخر سوى هذه الوسائل المرئية والمسموعة — أعطت للمتلقى صورة غير صحيحة عن الإسلام ، لأن معظم الذين يتناولون هذا الموضوع لا يتلقون معلوماتهم عنه إلا من الجانب الذى لا يمثل الإسلام ؛ فالذين يدعون معرفتهم بالإسلام يستقون معلوماتهم من أفواه أنصاف المتعلمين والجهلة ، وكثير منهم يعتمدون فى التأثير على الآخرين بأصواتهم العالية ، واستخدامهم وسائل اتصال حديثة ، تساعدهم فى ذلك جهات غير معروفة ، تكيد للإسلام وتحاول تصويره بأسلوب ينفر غير المسلمين منه .

لهذا رأيت أن أعرض على القارئ صورة موجزة للإسلام وتعاليمه ، كى يتضح جانباً من جوانب البناء الإسلامى كما ينبغى أن نعرفه .

فالإسلام دين سماوى ، أنزل الله تعاليمه على محمد ﷺ فى كتاب سماوى سماه : القرآن الكريم ، وأمره بتبليغه للناس كافة . وتدور تعاليمه حول الإنسان إذ كرمه وفضله على سائر المخلوقات ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠]

يسيطر حب الظهور والاستعلاء على مشاعر الإنسان وأحاسيسه فيدفعه إلى سلوك كل الطرق لتأكيد تميزه على غيره من أبناء جنسه ، ويعمق فى نفسه الاعتقاد بتفاوت الطبقات بين البشر ، فيقوده ذلك إلى تصنيف الناس وتقييمهم حسب ما يعتقد أنه يرفعهم درجة أو يُنْزِلهم درجتين ، أو يقربهم من علية القوم ، أو يصنفهم مع طبقات الدرجة السفلى . وقد

درجت المجتمعات البشرية على اعتبار الظواهر المادية أساساً للتصنيف ، فمن يملك مالاً أكثر من غيره ، يحتل درجة أعلى ، ومن يتمتع بجاه أو سلطان يحتل مكان الصدارة بين النـــاس ، ولذا أصبح المقربون إلى الحكام والسلاطين هم أولئك الذين يملكون الثروات ، أو يتمتعــون بجاه العصبية والسلطان ، أو يكون لهم من القوة ما يمكنهم من التقرب إلى الحاكم ، أو مــا يحمل الحاكم على جذبهم نحوه حتى يُؤَمِّن ملكه ، ويقوى سلطانه . أما أولئك الفقراء فليس لهم مكان بين هذه الطبقات ، حتى وإن كانوا أحسن خلقاً ، وأعز نفساً ، وأحرص علــى خدمة الأمة . فتقييم الناس عند هؤلاء القوم لا يعترف بميزان التقوى والصلاح ، بل بكثرة الدراهم والدنانير ، ومنعة القوة والسلطان .

غير أن رسالات الله التى أنزلها الله على رسله وضحت أن هذا الميزان لا وجود له عنــد الله ، بل يقرب الإنسان إليه على أساس الخلق الحسن ، والــسلوك الــسليم ، والتقــوى والصلاح ، وصفاء النفس و طهارة القلب ، والعمل الصالح والإســهام الإيجــابى فى بنــاء المجتمع ، والبذل والعطاء لحماية خلق الله من شرور المفسدين وطغيان المتكبرين .

كذلك من تفضيل الله الإنسان أن جعله مركز هذا الكون المادى العريض ، فهو سيده ، يتصرف فيه كيف يشاء ، وعلى أى وجه يريد ، فله الحرية فى ممارسة طاقاته معه ، لا قيد عليه فيما يفعل ، ولا حجر عليه فيما يتناول ، وليس بينه وبين ما يريد الانتفاع به من هذا الكون باب مغلق ، ولا حجاب يحول بينه وبين ما يريد ، ولا حاجز يفصل بينه وبين الوصول إلى أى شيء ، فالكون مسخر له ، وكأنه خُلِق من أجله ، وَوُجِد له ؛ وفُصِّلَت ظواهر الطبيعة من بحار وأنهار وجبال ووديان ، وريح ورياح لينتفع بها فى مجالات حياته المختلفة ، وأحوال تكوينه المتنوعة ، يقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾

obeikandl.com

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾
وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم : 32 – 34]

ويقول :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : 70]

ويقول :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية : 12 – 13]

ويقول :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ
ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ
مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان : 20]

وبهذا أصبح الإنسان مؤهلاً لحمل أمانة الوحى ، فحريته الواسعة الذى تمكنه من اختيار طريق الهدى وسيلة لحياته ، ومصباح الحق نوراً يهتدى به فى سلوكه ، حتى لا يتعثر فى طرقات الدنيا المظلمة . وقد شرع الله معالم تحدد له مسار الركب الإنسانى حتى لا

ينحرف ، فيتيه فى صحراء مهلكة ، ووديان مليئة بماء آسن ، وقاذورات تلطخ ثوبه الناصع ، الذى خلقه الله به .

فحرية الإنسان وسيلة أعطاه الله إياها ليصبح مستعداً عن طواعية لحمل الأمانة الكبرى ، ألا وهو التكليف باختيار ما يصلحه ديناً ودنيا ، وهو ما عبر الله عنه وصوره فى أبدع صورة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب : 72] ، حملها لأنه كان على استعداد لحملها ، فهو يتمتع بالحرية التى تمكنه من القيام بهذا الواجب ، ولذا فمصيره بيده ، إن شاء اختار طريق الله ، وإن شاء تخبط فى ظلمات الشيطان ، يقول تعالى : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة : 14] ، ويقول : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف : 29] ، ويقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس : 9 – 10] ، ويقول : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء : 7]

فقد بين الإسلام أن الله خلق الإنسان ، ومنحه الحرية فى سلوكه وتصرفاته ، **فحرى بهذا المخلوق ، بناءً على هذا العطاء الإلهى :**

أن يكون حراً فى التعبير عن أفكاره ، وفى اعتناق ما يراه صالحاً لنفسه ومجتمعه وفى الإيمان بما يميل إليه عقله ويقتنع به ، فلا يجوز لأحد أن يصادر حريته فى هذا المجال ، وإلا أعطى لنفسه حقاً لم يشأ الله أن يستعمله مع خلقه ، وتصدى لطبيعة خلقها الله فى الإنسان ، وكبت غريزة لا تستقيم حياة الإنسان إلا بها ، ولا تصلح النظم الاجتماعية إلا بظهورها ، ولا تسير حياة الأمم فى مجراها الطبيعى إلا إذا تمتع أفرادها بهذه الحرية .

وحريٌّ طبيعي لهذا الإنسان :

أن يحصل على حقه مما سخره الله له ، فلا يجوز لأحد أن يحرمه من هذا الحق ، فليس لأمة أن تستأثر بالموارد الطبيعية دون غيرها ، ولا لشعب الاستحواذ على ما يرفع مستوى معيشته ، بينما يحتاج غيره من الشعوب إلى ما تسد به رمقها . ولا لجنس أن يملأ بطون أفراده بأطايب الطعام ولذائذ الأشربة ، بينما شعوب أخرى يقتلها الجوع بعد أن تمر بطريق طويل تذوق فيها ألواناً من الحرمان وصنوفاً من آلام تتعرض لها أبدانها العارية وبطونها الخاوية ، وأجسادها التي أصبحت مستعمرة للأمراض ، وموطناً لكل أنواع العلل والأسقام .

- أكد الإسلام على هذين الأمرين : الحرية والمساواة في حقوق الانتفاع بما سخره الله للإنسان ، لأنهما أساس العدل في المجتمع الإنساني ، ومصدر تقرير عزة الإنسان وكرامته ، وسياج المحافظة على إنسانية الإنسان ، فلا تُهْدَر ، ولا تُهان ، ولا يلحقها ما يشينها ، أو يحط من كرامتها التي بوأها الله إياها . فإذا تقرر هذا لدى ضمير المجتمعات الإنسانية ، وحافظت عليه الحكومات ، واعترف به دعاة المذاهب والاتجاهات الفكرية ، وآمن به كل فرد إيماناً راسخاً ، بحيث يكون مستعداً للدفاع عنه بكل ما أوتي من وسائل ، وما تيسر له من سبل ، لاختفت ظواهر الظلم ومعالم الاستغلال من المجتمعات البشرية ، فلا ينال أحد أكثر مما يستحق ، ولا يُحْرَم إنسان من حق الحياة على نحو يحفظ عليه إنسانيته وكرامته . ويومئذ يشعر المرء بالأمن والأمان ، والاطمئنان والاستقرار ، وذلك ما تهدف التعاليم الإسلامية إلى تحقيقه للإنسان في الدنيا ، فضلاً عن مجازاته في الآخرة على حسن عمله في دنياه ، يقول تعالى : ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٨]

- اعترف الإسلام بالكيان الإنساني كله : جسمه وروحه ، عقله وقلبه ، إرادته ووجدانه ، ولهذا لم يغفل جانباً من هذه الجوانب في خطابه له .

ففى الجانب المادى :

أمره بالسعى فى الأرض ليأكل من طيباتها ويستمتع بما فيها ، وما يمكنه أن يستخرجه منها ، كما حثه على النظافة والتجميل ، بشرط الاعتدال فى ذلك كله . كما نهاه عما يضره بدنياً ؛ فحرم المسكرات بجميع أنواعها ، حتى لا يضر جسمه ، فيعجز عن القيام بما تفرضه عليه حياته .

وفى الجانب الروحى :

أمره بعبادة الله وحده ، ففرض عليه أنواعاً من الطاعات كـ : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وحثه على الالتزام بما يقربه إلى ربِّه ، مثل : الذكر ، والدعاء ، والتوكل، والخوف ، والرجاء ، والبر ، والإحسان ، والجهاد فى سبيل الله ... وغير ذلك مما يقرب العبد إلى ربه ، ويبعده عن وساوس الشيطان وهواجس الأشرار .

وفى مجال العقل :

أمره بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات، كما حثه على التفكير فى مصائر الأمم وسنن الله فى المجتمعات ، فلم يحرم عليه العلم ومعرفة الحكمة ، مهما كان مصدرها ، بل أنكر عليه الجمود والتقليد للآباء والكبراء ، وما ذاك إلا ليدفعه إلى ممارسة شئون الحياة على نحو يلبى كل رغبات عناصر تكوينه .

ولم يهمل جانب إحساسه بجمال ما حوله والتفاعل معه نفسياً وروحياً ، فوجهه إلى النظرة والتأمل فى جمال الكون بأرضه وسمائه ، ونباته وحيوانه ، لاكتشاف مظاهر الحسن والبهجة فيه ليشبع حاسة الجمال عنده ، فيشعر بعظمة الخالق فى أعماق نفسه، و فى ثنايا وجدانه ، يقول تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ ﴾ [ق : 6-8]

ويقول :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية : 17 – 20] ، ويقول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام : 99]

إن خطاب الله للإنسان على هذا النحو يؤكد أن الإسلام ينظر إلى كيان الإنسان كله ، فلم يهمل جانباً لحساب آخر ، وفى ذلك اعتراف بكل عنصر فيه ، وتقدير لمهمته التى خلق من أجلها ، فسبحان من خلق فأحسن الخلق ، وصور فأبدع التصوير ، يقول تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار : 6 – 8]

أخوة إنسانية فى الإسلام

كان اليهود من أوائل الشعوب التى ابتدعت تمايز الأجناس البشرية ، وعلو طبقاتها فوق بعض ، وذلك بزعمهم أنهم المفضلون عند الله ، أو هم شعب الله المختار ، أما بقية الشعوب فحثالة لا قيمة لها عند الله . كذلك تصور الإغريق أنهم المتمدينون ، ومن عداهم برابرة متوحشون . و لم يختلف الحال عند المصريين القدماء ، فقد كانوا يرون أنهم أبناء الشمس ، وشعب الله المعبود .

وانتشرت هذه الفكرة عند الرومان ، فأبناء روما هم الفضلاء الأحرار وغيرهم عبيد أرقاء ، كما أن الصينيين اختصوا أنفسهم بالمدنية والحضارة ، ومَنْ عداهم جهلة بدائيون ، ومن المؤسف حقاً أن أرسطو ، ذا العقل الكبير والآراء النيرة قال : " إن البشر جنسان ، أحرار وعبيد ، فالأحرار هم الذين يجب أن يحموا العالم ، أما العبيد فهم آلات صماء فى أيدى الأحرار ." ولعل دعاة التمييز العنصرى فيما مضى من القرون استندوا على هذه الفكرة الزائفة من أفكار أرسطو ، واتخذوها أساساً لعدوانهم على الطبقات التى كانوا يعدونها طبقات سفلى ، فسلبوهم حقوقهم ، وعاملوهم معاملة سيئة ، لأنهم أدنى منهم وأحط شأناً .

أما الإسلام فلم تقتصر وصيته للمسلمين بحسن معاملة وحفظ حقوق الآخرين على إخوانهم فى العقيد ، الذين يعيشون معهم فى مجتمع واحد بل أمرهم أيضاً أن يحسنوا معاملة المخالفين لهم فى العقيدة - وإن نأت ديارهم عنهم ، ماداموا يرعون حرمات الإسلام ، ولا يأتون عملاً يترتب عليه إيذاء المسلمين ، أو تهديد أمنهم ، يقول تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة : 8]

وقد سلك الإسلام فى إقامة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين منهجاً يستميل العاطفة ، ويؤثر تأثيراً كبيراً على مشاعر الإنسان فى مجال التقريب بين أفراد البشر ، ذلك أنه بيَّن أن أصل الناس واحد ، فهم مشتركون فى مبدأ الخلق ومادته ، التى تَفَرَّع عنها جميع الآدميين ، فهم وإن اختلفوا فى الألوان والأشكال ، وتباينوا فى الهيئات والملامح فإنهم منحدرون من أب واحد وأم واحدة ، مما يحتم عليهم أن ينهجوا فى سلوكهم مع بعض الأسلوب الذى ينبغى أن يسود بين الإخوة ، يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : 1] ، فإن هذه الآية تذكرة للإنسان بوحدة أصل البشرية جمعاء ، ودعوة له إلى العمل على ما يقوى الرابطة والتعاون والتكاتف بين أفرد البشرية فى كل أنحاء الكرة الأرضية باعتبارهم جميعاً أقارب ذوى رحم واحدة .

Obeikandl.com